الفصل الأول:

مفهوم الوحي عند رشيد رضا في كتابه الوحي المحمدي

أ.د. قحطان الدوري(*)

يتكون هذا الفصل من أطر تنتظمه وهي:

- تمهيد يبيّن أهمية كتاب الوحي المحمدي.
- المبحث الأول: يتناول مفهوم الوحي لغوياً واصطلاحياً.
- المبحث الثاني: يتناول النبوة والرسالة.
- المبحث الثالث: يتناول هداية الوحي.
- المبحث الرابع: يتناول الوحي النفسي.
- المبحث الخامس: وفيه رد الشبهات عن وحي الرسول ﷺ، وإثبات أن مصدره الله تعالى.

تمهيد [أهمية الكتاب]:

الاعتقاد بالوحي الإلهي هو الأساس الذي يبنى عليه الإيمان بالنبوات، وهو الطريق الذي وصلتنا به العقائد والأحكام الشرعية. لذلك اهتم الكثير من أعداء الإسلام بإثارة الشكوك حول الوحي، مقتفين أثر جهلاء قريش في ادعاءاتهم الملفقة عن الرسول محمدﷺ، إذ قالوا: إنه ساحر أو مجنون، الخ، حتى قال بعض المستشرقين وغيرهم: إن الوحي ما هو إلا حديث النفس وإلهامها.

وممن تصدى لهم الشيخ محمد رشيد رضا، الذي بذل جهوداً جبارة في الدفاع عن الإسلام، فكتب كتابه الجليل (الوحي المحمدي)، وما هو إلا خلاصة لتفسيره (المنار)،

(*) عميد كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت، الأردن.

obeikandl.com

وكان دافعه لكتابته -كما يقول- هو ما رآه من حال المسلمين الذين هجروا القرآن الكريم هجراً غير جميل؛ إذ باتوا يجهلون أن فيه كل ما يحتاجون إليه من حياة روحية وأدبية، وقوة سياسية وحربية، وثروة وحضارة ونعمة معيشة، بل له ما يلزم ذلك من الفوائد السلبية كدفع طغيان الأجانب عليهم، وصد عدوانهم عن بلادهم، وإنقاذهم من استذلالهم لشعوبهم[1].

وأكثر المسلمين يجهلون البرهان العقلي المقترن بالشعور الوجداني على انه وحي الله لنبيه ورسوله. مع أن كل ما يحتاج إليه المسلمون من إصلاح وتجديد حضارة وملك متوقف فيهم على هداية القرآن، وتنفيذ النبي ﷺ وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم له، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها[2].

فجعل الشيخ رشيد رضا مزية كتابه أنه بيّن إعجاز القرآن للبشر بالدلائل العلمية العصرية التي يفهمها كل قارئ، وابرز لهم خلاصة إصلاحه للبشر مفصلة في عشرة مقاصد[3]. وتتبع فيه أقوال المستشرقين التي تشكك المسلمين في دينهم، وردّ عليها بالحجة والبرهان.

وقد أوضح الشيخ رشيد في مقدمته للطبعة الأولى للكتاب ارتقاء البشر المادي في عصرنا الحاضر وتسخيره القوى الطبيعية، حتى صارت الدنيا كأنها مدينة واحدة، ومع ذلك فإنهم يرجعون القهقرى في الآداب والفضائل، فأسرفوا في الرذائل، واقترفوا الجرائم، وكادوا يفضلون الإباحية المطلقة، ولا شك في أن سياسة دولهم الكبرى هي

(١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي: ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدنية إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ببيروت، ص٥.

(٢) المرجع السابق، ص٦.

(٣) المرجع السابق، ص٧. وانظر بحثي: رضا، محمد رشيد، المنشور في مجلة دراسات عربية وإسلامية، العدد الثالث، السنة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م التي أصدرتها في بغداد اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، ص٢٠٩-٣٠٤.

الجانية عليهم بإغرائها الضغائن بينهم، وسلبها ثرواتهم وتسخيرها في البغي وخبث الطوية؛ لذلك انصبّ تفكير عقلاء أوروبا على اللجوء إلى هداية الدين[1].

إلا أن هؤلاء المفكرين لا يعرفون حقيقة الإسلام، والذي يمنعهم من تلك المعرفة ثلاثة حجب؛ **أولها**: الكنيسة التي تشوه الإسلام زوراً وبهتاناً، بما الفت من كتب ورسائل، وأنشدت من أغان وقصائد. **وثانيها**: رجال السياسة الأوروبية الذين ورثوا عداوة الإسلام من الكنيسة. **وثالثها**: سوء حال المسلمين في القرون الأخيرة، حين فسدت حكوماتهم، واستحوذ عليهم الجهل بحقيقة دينهم ومصالح دنياهم[2].

أما عدم فهمهم إعجاز القرآن وإصلاحه، فله أربعة أسباب:

أولاً: جهل بلاغة القرآن التي بلغت ذروة الإعجاز في أسلوبه ونظمه وتأثيره في النفوس.

ثانياً: قصور ترجمات القرآن عن أداء معانيه وضعفها.

ثالثاً: أسلوب القرآن الكريم في مزج العقائد والمواعظ والحكم والأحكام في الآيات المتفرقة في السور، وهذا دعا بعض الإفرنج مثل (جول لابوم) إلى وضع كتابه بالفرنسية تفصيل آيات القرآن الحكيم، على ما فيه من قصور كبير.

رابعاً: الإسلام ليس له دولة ولا جماعات تتولى نشره بالعلم وحمايته بالحجة، ثم أن فشو الجهل في شعوب المسلمين والانحلال في حكوماتهم قد اتخذ حجة على دينهم، فصاروا منفّرين عن الإسلام وصادين عنه.

واتخذ الشيخ رشيد رضا هذه المقدمات لينتهي إلى كتابه (الوحي المحمدي) الذي أقام به الحجة على المخالفين، داعياً فيه شعوب الحضارة المادية من الإفرنج واليابان الى الإسلام[3]؛ لأنه كما قال أمير البيان شكيب أرسلان: لم يوجد في هذا العصر (أي قبل

(١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص٥٩-٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص٦٢.

(٣) المرجع السابق، ص٦٣-٦٩.

كتاب الوحي المحمدي) كتاب يصلح لدعوة الإفرنج إلى الإسلام[1]. وصدرت طبعته الأولى يوم ذكرى مولد النبي ﷺ من عام ١٣٥٢هـ، ثم صدرت طبعته الثانية مزيدة في العام نفسه يوم عرفة، ثم صدرت طبعته الثالثة مصححة سنة ١٤٠٦هـ[2]. وتتابعت طبعاته بعد ذلك.

وقد نال هذا الكتاب قبولاً كبيراً من أوساط علمية مختلفة، وقرظه علماء أجلاّء أورد منها في أول الكتاب تقاريظ: إمام الزيدية ملك اليمن يحيى بن حميد الدين، وملك المملكة العربية السعودية عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، وشيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي، والشيخ محمد احمد العدوي الأزهري، والشيخ محمد بهجة البيطار، والشيخ محمد ظبيان الكيلاني، والشيخ محمد مسلم الغنيمي الميداني، والطبيب والعالم سعد عيد عرابي، والشيخ محمد رشيد ميقاتي مفتي طرابلس الشام، والشيخ محمد تقي الدين الهلالي، والأستاذ عباس محمود العقاد، والأستاذ محمد لطفي جمعة، وأمير البيان شكيب أرسلان... وغيرهم[3]، وكلماتهم تجمع على أن كتاب الوحي المحمدي بلغ الغاية في إثبات رسالة النبي محمد ﷺ، وأن شريعته كفلت صلاح البشر، وضمنت رقي المجتمع الإنساني إلى المنزلة التي تخيلها الحكماء ودعاة الإصلاح.

وهذا هو الحق الذي يبدو لأول وهلة عند قراءة الكتاب في عرضه لمزايا الإسلام، ودفاعه عنه، وردّه على أعدائه من المستشرقين وغيرهم.

وترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات منها: اللغة الإنجليزية، والأوردية، والتركية، والفارسية، والصينية[4]. وذلك، لما يمتاز به من بساطة الأسلوب وحسن التعبير عن الأفكار التي طرحها في حالي العرض والدفاع، لا سيما وانه من الكتب الحديثة الأولى

(١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص ٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص٣، ١١، ٨٠.

(٣) انظر تقاريظ هؤلاء وغيرهم في كتابه الوحي المحمدي، ص ١٥-٥٧.

(٤) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص٧٩.

التي يفهمها ذوو الثقافات المختلفة، والتي تباين المصادر الأولى التي تحتاج إلى كد الأذهان.

المبحث الأول: الوحي لغة واصطلاحاً:

لغة: أورد الشيخ رشيد تعريف الوحي في أصل اللغة مستعيناً بأساس البلاغة للزمخشري، وذكر أنه يفيد معنى:

الإيماء، والكلام الخفي، وهذا ما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ (النحل: ٦٨)، ثم نقل عن الراغب الأصبهاني من كتابه (المفردات) : أن أصل الوحي هو الإشارة السريعة سواء كان بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، أو بصوت مجرد عن التركيب، أو بإشارة بعض الجوارح، وبالكتابة. وهذا ما أشير إليه بقوله تعالى على لسان زكريا: ﴿فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً﴾ (مريم: ١١)، أي: أشار إليهم و لم يتكلم.

وانتهى إلى قول جامع في معنى الوحي هو: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره ، وذكر بعد ذلك أن منه:

الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل، والهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة كالوحي إلى أم موسى، ووسوسة الشيطان الواردة في قوله تعالى: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ (الأنعام: ١٢١)[1].

وهذه المعاني التي أوردها الشيخ رشيد هي من أشهر ما ورد عن العرب. وقد ذكرها معاجم اللغة مثل لسان العرب والقاموس المحيط، مع معان أخرى لكلمة الوحي مثل: الرسالة، والأمر، والمكتوب، والكتاب. وعموم هذه الألفاظ لها شواهد من

(١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص ٨١.

استعمال القرآن لها في المعاني المذكورة، وتحدث المفسرون في مواطنها عن تلك المعاني، انظر مثلاً تفسير الرازي والقرطبي والبيضاوي.

وأرجع بعض العلماء استعمالات كلمة الوحي إلى أصلها:

فقال أبو إسحاق: أصل الوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يسمى وحياً، قال الأزهري: وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحياً، والكتابة تسمى وحياً... وكل هذا إعلام، وان اختلفت أسباب الإعلام فيها.

لكن القاضي عياض في كتابه (الشفا) ذكر قولين في أصل الوحي:

أولهما: الإسراع، ومنه تلقي النبي لأنه على عجل، ومنه الإلهام، ومنه الخط لسرعة اليد. **وثانيهما:** السر والإخفاء، ومنه الإلهام وإيحاء الشياطين أي: وسوستهم[1].

ثم ربط الشيخ رشيد رضا هذه المعاني اللغوية بوحي الله تعالى إلى أنبيائه، وذكر أنه قد روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة وهما: الخفاء والسرعة، فهذا معنى المصدر. وذكر أن الوحي قد يطلق على متعلقه وهو ما وقع به الوحي أي اسم المفعول، وهو ما أنزله تعالى على أنبيائه وعرّفهم به من أنباء الغيب والشرائع[2]. وكلام الشيخ رشيد في كتابه الوحي المحمدي يفيد انه استعمل الوحي بمفهوم التلقي الخارجي من الله تعالى بواسطة الملك.

لكنه أحيانا قد يستعمله بالمفهوم الثاني وهو متعلقه أي ما وقع به الوحي. وهو الذي قصده من وضعه عنوان الكتاب (الوحي المحمدي ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدنية إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام).

---

(١) الدوري، قحطان، أصول الدين الإسلامي، ط٥، دار الفكر، عمان، ص٢٣٣-٢٣٤. وأشرت إلى مصادره. وانظر القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، المكتبة التجارية بمصر، ج١، ص٢٥٢.

(٢) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص٨٢.

اصطلاحاً: ونقل الشيخ رشيد تعريف الوحي بالمعنى الاصطلاحي عن شيخه الأستاذ الإمام محمد عبده في (رسالة التوحيد) القائل:

(وقد عرفوه شرعاً: أنه إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه، أما نحن فنعرفه على شرطنا: بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قِبَل الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول: بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت.

وفرّق بينه وبين الإلهام، بأن الإلهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور). وبيّن أن هذا التعريف يشمل أنواع الوحي الثلاثة الواردة في قوله عز وجل ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ (الشورى: ٥١). إلا أن الشيخ رشيد ذكر أن تعريفه هذا وإن شمل الوحي النفسي الذي يثبته علماء الإفرنج لنبينا محمد ﷺ وغيره، فهو غير مراد، لأنه أوضح أن مبنى هذا الكتاب هو الرد عليه[1].

وتعريف الشيخ محمد عبده واضح مفصل، حيث شمل بيان معنى الوحي وأنواعه، وارتضاه الشيخ رشيد، وهو لم يخرج عن تعريف العلماء السابقين المشار إليهم بقوله (عرفوه)، بل لم يخرج عما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عقيل عن الزُّهري : (سئل عن الوحي فقال: الوحي ما يوحي الله إلى نبي من الأنبياء، فيثبته في قلبه، فيتكلم به ويكتبه، وهو كلام الله. ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لأحد، ولا يأمر بكتابته، ولكنه يحدّث به الناس حديثاً، ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس، ويبلغهم إياه)[2].

---

(١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص ٨٢-٨٣. وانظر عبده، محمد، رسالة التوحيد، دار الشعب بالقاهرة، ص٨٨-٨٩.

(٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ط٣، مطبعة البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٥١، ج١، ص٤٤.

obeikandi.com

وهذا المفهوم للوحي هو الذي أثبته اللاحقون في كتبهم، مثل الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني؛ إذ عرفه بقوله: "هو أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كلّ ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر"[1].

والملاحظ أن مؤدَّى هذه التعاريف واحد، وإن اختلف التعبير عنها.

المبحث الثاني: النبوة والرسالة:

عرض معنى النبي في اللغة:

فذكر أن النبيء (المهموزة) وصف من النبأ، وهو الخبر المفيد لما له شأن مهم، قال: ويصح فيه معنى الفاعل لأنه منبيء عن الله تعالى، ومعنى المفعول لأنه منبأ منه. والنبيّ (بالتشديد) أكثر استعمالاً أبدلت الهمزة ياء، أو هو من النَّبْوَة وهي الرفعة والشرف[2].

وهذا البيان لكلمة النبي كاف في هذا المقام، وإن كانت له تفصيلات يدخل بعضها فيما ذكره الشيخ رشيد، فأهل اللغة يقولون:

بأن النبيء (بالهمز) إما مشتقة من النبأ وهو الخبر، فالنبيء هو المخبر عن الله تعالى. أو من النبيء الذي هو الطريق الواضح؛ لأن الأنبياء هم الطرق الواضحة الموصلة إلى الله تعالى.

والنبي (بغير الهمز) إما أن تكون همزها مخففة، أو أن تكون مشتقة من النبْوة أو النَّباوة أي الارتفاع، لأن النبي مرتفع الرتبة على غيره[3].

أما النبي في الاصطلاح:

(١) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، ج١، ص٥٦.

(٢) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص ٨٤.

(٣) الدوري، قحطان، أصول الدين الإسلامي، ص ٢٠٤. وأشرت إلى مصادره: لسان العرب، وكتاب سيبويه، واشتقاق أسماء الله الحسنى للزجاجي، والبيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري، والمسامرة لابن أبي شريف القدسي شرح المسايرة للكمال بن الهمام.

فقد ذكر الشيخ رشيد أن النبي عند أهل الكتاب يطلق على: الملهم الذي يخبر بشيء من أمور الغيب المستقبلة.

وقيل: معنى أصل مادته في العبرانية القديمة: المتكلم بصوت جَهْورِيّ مطلقاً، أو في الأمور التشريعية.

وهذا شأن الشيخ رشيد حيث يأتي بما يمكن أن يستشهد به من الزبور والتوراة والإنجيل.

أما عند المسلمين فهو:

من أوحى الله إليه وحياً، فإن أمره بتبليغه كان رسولاً، فكل رسول نبي، وما كل نبي رسول[1]. وهذا القول الذي اختاره الشيخ رشيد هو المشهور، وبه قال الجمهور وعامة الأشاعرة، وصحّحه المهدوي والقاضي عياض في كتابه الشفا.

وهناك قول آخر هو أن النبي والرسول بمعنى واحد وهو الذي عزاه ابن الهمام إلى بعض المحققين، وهو مذهب جمهور المعتزلة. وردّه الجمهور: بقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ (الحج: ٥٢)، فلو كان النبي مساوياً للرسول لما عطف عليه، لان نفي أحد المتساويين يستلزم نفي الآخر[2].

المبحث الثالث: هداية الوحي:

وبين الشيخ رشيد رضا وجه حاجة البشر إلى هداية الأنبياء في ثلاثة أمور لا تستقل معارفهم المكتسبة بعقولهم وحواسهم، ولا يذعنون فيها إلا لأمر ربهم، وهي:

(١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص ٨٤-٨٥.

(٢) الدوري، قحطان، أصول الدين الإسلامي، ص ٢٠٥-٢٠٦.

- **أولاً**: الإيمان بالغيب، ورأسه توحيد الله تعالى والإيمان بصفاته الكاملة، ثم الإيمان بالملائكة والجن والشياطين، وما يجده الإنسان من خواطر السوء فهو من وساوس الشيطان.
- **ثانياً**: ما يجب اعتقاده من البعث بعد الموت والحساب وجزاء العمل، وهو اكبر البواعث على اتّباع شريعة الحق والصدود عن ضدها.
- **ثالثاً**: وضع حدود أصول للأعمال التشريعية التي لا مجال للأهواء فيها.

وهذا يعني أن تهذيب البشر مبني على خبر الأنبياء عليهم السلام، ولا يمكن تهذيبهم بالعلوم المادية الكسبية وحدها[1].

وإذا كان إرسال الأنبياء إلى البشر لأجل هدايتهم إلى تزكية أنفسهم بما تصلح به أحوالهم في دنياهم وأخراهم، فلا يتم هذا الغرض إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء أهلاً للاقتداء بهم في سيرتهم وأعمالهم؛ لذلك قال علماؤنا بوجوب عصمة الأنبياء من المعاصي والرذائل، وبالغ بعضهم في قوله بعصمتهم من الصغائر كالكبائر قبل النبوة وبعدها، وخصّ بعضهم العصمة من الصغائر المشعرة بالخسة والدناءة[2]. ولعلماء الكلام تفصيل في صفة العصمة[3]، لا يهمنا الخوض فيه هنا، وحسبنا ما ذكره الشيخ رشيد في هذا المقام.

ثم تحدث الشيخ عن كتب العهدين القديم والجديد المقدسة التي لا تقول بعصمة الانبياء، بل ترمي بعض كبارهم بكبائر الفواحش المنافية لحسن الأسوة، بل المجرئة على الشرور والمفاسد. ومع ذلك فان تلك الكتب المقدسة لا تشهد برمي جميع أنبيائها بالذنوب والمعاصي، فيوحنا المعمدان (وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام) لم يوصم بخطيئة قط، بل كان أعظم من المسيح في عصمته، وشهدت لآدم و لم تنسب إليه

(١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص ٨٥-٨٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٧.

(٣) الدوري، قحطان، أصول الدين الإسلامي، ص ٢١٧-٢٢٧.

خطيئة، وحينما ارتكبها لم يكن نبياً مرسلاً إلى أحد. وكذلك هابيل الذي كان باراً لم يرتكب خطيئة[1].

وفرّق بين هداية الأنبياء وحكمة الحكماء وعلومهم من حيث مصدر كل منهما، والثقة بصحته، والإذعان لحقيقته، وتأثيره في أنفس جميع طبقات المخاطبين.

فحكمة الحكماء آراء بشرية ناقصة عرضة للتخطئة والخلاف، ولا يفهمها إلا فئة مخصوصة من الناس، وما كل من يفهمها يقبلها، ولا كل من يقبلها ويعتقد صحتها ويرجحها على هواه وشهواته.

أما هداية الوحي الدينية فتتميز على العلمية الكسبية بان جميع طبقات المؤمنين بها يذعنون لها بالوازع النفسي التعبدي، فتكون عامة ثابتة لا مجال للخلاف والتفرق فيها ما دام فهمها صحيحاً والإيمان بها راسخاً؛ لذلك فان العقل والعلم البشري لا يمكن أن يغنيا عن هداية الرسل.

وذكر أن الدين الذي عليه أكثر شعوب هذا العصر هو النصرانية، وسبب بقائه فيهم هو أن دولهم قد جعلته من نظام حياتهم الاجتماعية، فهو لم يبق له سلطان روحي إلاّ في قلوب العوام الخرافيين؛ لذلك فلا سبيل إلى إنقاذ البشر في هذا العصر إلا إثبات الوحي المحمدي الموحد لإنسانيتهم المزكي لأنفسهم الذي فيه السعادة الدنيوية والأخروية[2].

واتخذ الشيخ محمد رشيد القول بإثبات الوحي المطلق حجة في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ، مستشهداً بما ورد في كتب العهدين العتيق والجديد، وما صرح به علماء الإفرنج المتخصصين كالأستاذ (إدوار مونتيه) مدرس اللغات الشرقية في مدرسة جنيف الجامعة في مقدمة ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم، الذي ذكر أن كل ما كان به أنبياء

(١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي ص ٨٧-٨٩ و ص ١٠٢.

(٢) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص٩٠-٩٢.

بني إسرائيل أنبياء كان ثابتاً لمحمد ﷺ، من الرؤيا والوحي وتمكن العقيدة الدينية والألوهية.

ولخص المستشرق الفرنسي (إميل درمنغام) في كتابه (حياة محمد) رواية الوحي وموضوعها وتأثير نبوته ﷺ في إصلاح البشر، وأذعن لصحتها، وتمنى الاتفاق بين المسلمين والنصارى.

ثم نقل الشيخ رشيد تعريف الوحي والنبوة والآيات عن د. جورج بوست العالم الجامع بين العلوم العصرية والدينية والتاريخ من كتابه قاموس الكتاب المقدس المطبوع في المطبعة الأمريكانية في بيروت سنة ١٨٩٤[١]. وبيّن بعد ذلك امتياز نبوة محمد ﷺ على نبوة من قبله، وكيف صدّت الكنيسة اتباعها عن الإسلام بعد أن رأوه قضى على الوثنية والمجوسية، وكاد يقضي على النصرانية في الشرق، ثم امتد نوره إلى الغرب.

وفي كل ذلك ينقل نصوصاً مختلفة من أقاويل علمائهم سواء المتهجمة على الإسلام أو الشاهدة بصدقه[٢]. وانتهى إلى القول: بأن الكتاب الإلهي الوحيد الذي نقل بنصه الحرفي تواتراً عمن جاء به بطريقتي الحفظ والكتابة معاً هو القرآن. وأن النبي الوحيد الذي نقل تاريخه بالروايات المتصلة الأسانيد حفظاً وكتابة هو محمد ﷺ.

فالدين الوحيد الذي يمكن أن يعقله العلماء المستقلون في الفهم والرأي ويبنوا عليه حكمهم هو الإسلام. أما خلاصة ما يمكن الاعتراف به من الأديان السابقة لثبوت قضاياه الإجمالية بالتواتر المعنوي، فهو أنه وجد في جميع أمم الحضارة القديمة دعاة إلى عبادة الله وحده والى العمل الصالح وترك الشر والرذيلة، منهم أنبياء مبلغون عن الله

(١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص ٩٣-٩٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٩ و ١٠٣.

تعالى، ومنهم حكماء، ووجد فيما نقل عن الفريقين أمور مخالفة للعقل وأمور خاصة بأقوامهم وبزمانهم، وخرافات ينكرها العقل والعلم[1].

المبحث الرابع: الوحي النفسي:

أوضح الشيخ رشيد أن خلاصة رأي أولئك الماديين هو أن الوحي: إلهام يفيض من نفس النبي الموحى إليه لا من الخارج. أي: أن معلوماته وأفكاره وآماله ولّدت له إلهاماً فاض من عقله الباطن أو نفسه الخفية الروحانية العالية على مخيلته السامية، وأن سريرته الطاهرة وقوة إيمانه بالله وبوجوب عبادته وترك ما سواها من الوثنية، يكون لها في جملتها من التأثير ما يتجلى في ذهنه ويُحدث في عقله الباطن الرؤى والأحوال الروحية، فيتصور ما يعتقد وجوبه إرشاداً إلهياً نازلاً عليه من السماء دون واسطة، أو يتمثل له رجل يلقنه ذلك، فيعتقد انه من عالم الغيب. وهؤلاء يقولون: نحن لا نشك في صدق محمد في خبره عما رأى وسمع، لكن منبع ذلك هو نفسه، وليس فيه شيء جاء من عالم الغيب الذي هو وراء عالم الطبيعة. وذكر الشيخ رشيد أن هذا الفهم قد سرى إلى بعض المسلمين المرتابين المقلدين[2].

والواقع أن الغربيين، إلى القرن السادس عشر، كانوا كجميع الأمم المتدينة يقولون بالوحي؛ لأن كتبهم مشحونة بأخبار الأنبياء. فلما جاء العلم الجديد بشكوكه ومادياته ذهبت الفلسفة الغربية إلى أن الوحي من بقايا الخرافات القديمة، وتغالت حتى أنكرت الخالق والروح معاً، وعللت ما ورد من الوحي في الكتب القديمة بأنه إما اختلاق من المتنبئة أنفسهم لجذب الناس إليهم، وإما إلى هذيان مرضي. وراج هذا التعليل في العالم الغربي حتى صار مذهب العلم الرسمي.

---

(١) المرجع السابق، ص ١١٥-١١٦.

(٢) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص ١١٩. وانظر أيضاً ص ٨٣.

فلما ظهرت بحوث الروح في أمريكا سنة ١٨٤٦م وسرت منها ألي أوروبا كلها، وثبت بدليل محسوس وجود عالم روحاني آهل بالعقول الكبيرة والأفكار الثابتة، أعاد العلماء البحث في التخصصات المختلفة في الروح على قاعدة العلم التجريبي المقرر، وتألّفت اللجان من كبار علماء الجامعات في أوروبا وأمريكا، وانتهت إلى إثبات عالم آخر، عَدَّه مَن قبلهم من الخرافات. وقد ذكر الأستاذ محمد فريد وجدي في دائرة معارف القرن العشرين أسماء عدد كبير من أولئك العلماء وبحوثهم[١]. وأوضح:

إن الوحي عند هؤلاء العلماء الباحثين في الروح، على الأسلوب التجريبي، لا يكون بنزول ملك من السماء على الرسول فيبلغه كلاماً عن الله، بل يكون في تجلي روح الإنسان عليه بواسطة شخصيته الباطنة، فتعلمه ما لم يكن يعلم، وتهديه إلى خير الطرق لهداية نفسه وترقية أمته. ودليلهم على ذلك:

إن الله منزه عن المكان، وأن الملائكة مهما قيل في روحانيتهم وتجردهم عن المادة فلا يعقل أنهم يقابلون الله ويسمعون منه كلاماً؛ لأن هذا كله يقتضي التحيز وعدم التنزيه المطلق، ولأن الملائكة مهما ارتقوا فلا يكونون أعلى من الروح الانساني التي هي من روح الله نفسه، فمثلهم ومثلها سواء. فالوحي عندهم لا يكون الا بظهور الشخصية الباطنة للرسول ووحيها إليه ما ينفعه وينفع قومه.

وبهذه النظريّة يحلّون ما يرونه في بعض الكتب السماوية من المناقضات للعلم، فهم لا يقولون بتحريف تلك الكتب، لكنهم يقولون: بان الشخصية الباطنة لكل رسول انما تؤتي صاحبها بالمعلومات على قدر درجة تجليها فيه واستعداده لقبول آثارها، ولذلك قد تختلط معارفها العالية بمعارف باطلة من شخصيته العادية، فيقع في الوحي خلط كثير بين الغث والسمين[٢].

(١) وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، ج١٠، ص٧١٢.

(٢) وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، ج١٠، ص٧١٩-٧٢٠.

المبحث الخامس: رد الشبهات عن وحي سيدنا محمد ﷺ وإثبات أن مصدره هو الله تعالى:

أورد الشيخ رشيد رضا شبهاتهم على الوحي، ونقضها الواحدة تلو الأخرى على النحو الآتي:

– **أولاً:** منهم من قال: مثل ذلك الوحي هو مثل (جان دارك) الفتاة الفرنسية، وهي من أجمل النساء سيرة وأسلمهن نية، حيث اعتقدت –وهي في بيت أهلها بعيدة عن التكاليف السياسية– أنها مرسلة من عند الله لإنقاذ وطنها ودفع عدوها الإنجليز عنه، وأنها تسمع الوحي، فأخلصت في الدعوة إلى القتال، وترأست جيشاً غلبت به عدوها فعلاً، لكن خذلها قومها، فأُسرت، وأُلقيت في النار حية، فمجّدها قومها بعد ذلك، وقررت الكنيسة الكاثوليكية قداستها بعد ذلك.

فأجاب الشيخ على هذه الشبهة بقوله:

إن جان دارك لم تقم بدعوة إلى دين أو مذهب تدعي أن فيه سعادة البشر في الحياة وبعد الموت كما هو شأن جميع الرسل. و لم تأت بمعجزة لا يعهد مثلها تتحدى بها الناس ليؤمنوا بها. وإنما كانت فتاة ذات وجدان شريف هاجه شعور الدين، وحركته مزعجات السياسة، فنفر، فصادف مساعدة من الحكومة، وكان الحماس الذي حركته هو سبب الانتصار[1].

وخرج منها إلى القول بأن هذه نوبة عصبية قصيرة الزمن معروفة السبب، لا دعوة فيها إلى علم وإصلاح اجتماعي إلا الدفاع عن الوطن عند الضيق، التي هي مشتركة بين الإنسان والحيوان الأعجم، ولا حجة تدعمها ولا معجزة تؤيدها.

ومثل جان دارك مثل قائد منتصر في واقعة فاصلة، بشجاعته وبأسباب أخرى خارجة عن صنعه، أو كهبوب ريح تهيج البحر فيغرق الأسطول وتنتصر الأمة.

(١) جاء الشيخ بقصة (جان دارك) من دائرة المعارف العربية للبستاني.

obeikandl.com

فأين هذه من دعوة الأنبياء التي هي حاجة طبيعية من حاجات المجتمع البشري. وأحال إلى رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، وإلى دروسه في المنار لاسيما (الآيات البينات على صدق النبوات)[1].

– **ثانياً: الأخذ عن بحيرا الراهب:** نقل الشيخ رشيد عن (إميل درمنغام) هذه الشبهة التي أجملها مونتيه. حيث قال: إن محمداً لقي بحيرا الراهب في مدينة بصرى الشام، وهو نسطوري من أتباع آريوس في التوحيد، وينكر ألوهية المسيح وعقيدة التثليث.

وبحيرا عالم فلكي منجم وحاسب وساحر، وكان يعتقد أن الله ظهر له، وأنبأه بأنه سيكون هادياً لآل إسماعيل إلى الدين المسيحي. وسمع من بعض الرهبان أنه كان معلماً لمحمد ومصاحباً له بعد رسالته، وأن محمداً ما حرّم الخمر إلا لأنه قتل أستاذه بحيرا وهو سكران. وأسرفوا في هذا الافتراء والبهتان.

ردّ الشيخ رشيد على هذه الشبهة:

بأن ما عرفه المسلمون من رواة السيرة النبوية: أن النبي ﷺ لما خرج مع عمه ابي طالب إلى الشام وهو ابن تسع سنين وقيل ابن اثنتي عشرة سنة رآه هذا الراهب مع قريش، ورأى سحابة تظلله من الشمس، وذكر لعمه أنه سيكون له شأن، وحذره عليه من اليهود. وفي المسألة روايات أخرى بمعناها، ضعيفة الأسانيد إلا رواية للترمذي ليس فيها اسم بحيرا، وفيها غلط في المتن. وليس في شيء من تلك الروايات أنه ﷺ سمع من بحيرا شيئاً من عقيدته أو دينه[2].

والحق أن هذه الرواية قد استقصى طرقها ورواياتها الحافظ ابن كثير في السيرة النبوية، وقال بعد ذلك: "وعلى كل تقدير فهو مرسَل، فإن هذه القصة كانت

(١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي ص١١٩-١٢٥.

(٢) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص١٢٧.

ولرسول الله ﷺ فيما ذكره بعضهم اثنتا عشرة سنة، ولعل أبا موسى تلقاه من النبي ﷺ، فيكون أبلغ، أو من بعض كبار الصحابة، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة"[1].

- ويرد على أصحاب هذه الشبهة أيضاً:

أن هذه الرحلة كانت والرسول ﷺ صغير، وكان عمه معه حين التقى بحيرا، وهذا لا يعلّم النبي التشريع، ولا يعطيه مفاتيح الغيب.لكن قول بحيرا يؤكد نبوة محمد ﷺ حين يسأله عن أحواله المختلفة، فيوافق ما عند بحيرا، من هيئات النبي الذي بشر به عيسى وموسى، فتنبأ أن يكون له شأن عظيم[2].

- ثالثاً: الأخذ عن ورقة بن نوفل: وقال بعضهم إن الرسول ﷺ أخذ شيئاً من علم أهل الكتاب عن ورقة بن نوفل وهو من متنصرة العرب وعالم بالنصرانية.

وردّ الشيخ رشيد هذه الشبهة بقوله:

أن الشيخين رويا خبر ورقة، وفيه: أن خديجة أخذته ﷺ عقب إخباره إياها بما رآه في حراء إلى ورقة وأخبرته بخبره، وكان شيخاً قد عمي، ولم يلبث بعد ذلك أن توفي. وقد استقصى المحدثون كل ما عرف عن ورقة هذا مما صح سنده أو لم يصح، كدأبهم في كل ما له علاقة بالنبي ﷺ، فلم يذكر أحد منهم أنه عرف دعوة إلى النصرانية، وإنما ورد في بعضها: أنه هو النبي المنتظر الذي بشر به المسيح عيسى عليه السلام، وفي بعضها: أنه عاش حتى رأى بلالاً يعذبه المشركون، لكن هذه الرواية شاذة مخالفة لحديث عائشة الصحيح أنه كان عند بدء الوحي أعمى ولم ينشب (أي: لم يلبث) أن مات، وتعذيب بلال بعد إظهار دعوة النبوة، وهذا بعد بدء الوحي بثلاث سنين.

---

(١) ابن كثير، السيرة النبوية. تحقيق: مصطفى عبدالواحد، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤، ج١، ص٢٤٣.

(٢) الدوري، قحطان، أصول الدين الإسلامي، ص٢٥٩.

وغلط إميل درمنغام فيما نقله من خبر فترة الوحي عليه، لاختلاط الروايات عليه وعدم اطلاعه على ما دون في كتب الحديث[1].

ومما يؤكد هذا الرد: أن ورقة لم يلتق بالنبي وحده، بل كانت معه السيدة خديجة، فلماذا لم تعرف ما عرفه محمد ﷺ؟ ثم إن قول ورقة: إن هذا هو الناموس (أي: أمين الوحي) الذي نزل على موسى، يفيد أن الوحي واحد لكل الأنبياء، فتوقع إخراجه حين يدعوهم، وتمنى نصره آنئذ. فليس لورقة سوى التصديق برسالة محمد، فكيف يكون مصدر علمه ﷺ؟

ولو كان تلقيه على ورقة وعلى بحيرا حقاً لاتهمته قريش، كما اتهموه بأنه كان يتعلم من حداد نصراني رومي يصنع السيوف، وكان النبي يقف عنده أحياناً يشاهد صنعته، فرد عليهم الله تعالى بقوله: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلّمه بشر لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ (النحل: ١٠٣).

كما أن طبيعة النصرانية -دين بحيرا والقين الرومي- لا تتفق مع جاء به محمد ﷺ، فكيف تكون مصدره؟ .

- في القرآن الكريم أنباء عن مغيبات حدثت بعد موت بحيرا وورقة، والآيات كانت تنزل وفق الحوادث والوقائع الطارئة، فكيف يتصور أن القرآن من تعليمهما؟ هذا فضلاً عن أن القرآن الكريم بغيبياته وعقائده وأحكامه، واكتمال نزوله في عشرين سنة، لا يعقل أنه أخذه من بحيرا وورقة خلال جلسة سريعة، وهو أمر معلوم بالبداهة[2].

وأخيراً لم يثبت في الأحاديث الصحيحة أن النبي محمداً ﷺ كان ينتظر نزول الوحي عليه.

---

(١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص١٢٨.

(٢) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي ، ص١٥١-١٥٨. وانظر الدوري، قحطان، أصول الدين الإسلامي، ص٢٦٠-٢٦١.

obeikandl.com

ومن هذا المنطلق ردّ الشيخ رشيد المقدمات الثمان الباقية التي ذكرها إميل درمنغام وهي:

١- انتشار اليهودية والنصرانية في بلاد العرب قبل الإسلام، وتنصر بعض فصحاء العرب كقس بن ساعدة الأيادي وأمية بن أبي الصلت الثقفي، وإشادتهم بما يسمعون من علماء أهل الكتاب عن قرب ظهور النبي الذي بشر به موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام.

فردّ عليه الشيخ رشيد رضا: بإيراده خبر قس، وضعّف الروايات الواردة فيه.

وأورد أيضاً خبر أمية، وذكر أن المعروف أنه كان حنيفياً على ملة إبراهيم و لم يتنصر، و لم يلق النبي ﷺ قبل النبوة ولا بعدها.

٢- خبر إسلام سلمان الفارسي الذي كان مجوسياً ثم تنصر على يد بعض الرهبان، وسمع منهم قرب ظهور النبي الذي بشر به عيسى والأنبياء من العرب.

٣- رحلة الشتاء إلى اليمن، والصيف إلى بلاد الشام، واجتماعهم بالنصارى الذين كانوا يتحدثون عن قرب ظهور النبي من العرب.

٤- وجود اليهود والنصارى في مكة وهم عبيد وخدم، وكانوا يتحدثون بقصص عن دينهم.

وهذه المقدمات ذكرها كتّاب الإفرنج لتعليل ما ظهر به محمد ﷺ من دعوى النبوة، ويعنون: أنه سمع ما سمع من أخبارها فتعلقت نفسه به.وذلك على طريقتهم في الاستنباط وما يسمونه النقد التحليلي، ويقرنون بها مقدمات أخرى في وصف حالته النفسية والعقلية وحالة قومه، وما استفاده منها من تأثير وعبرة[1].

٥- فقر النبي ﷺ جعله أمّياً طول حياته، حيث يوهم (درمنغام) بهذا أن أولاد الموسرين بمكة كانوا يتعلمون، وكأن هناك مدارس بالأجور كمدارس اليوم،

(١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص١٢٨-١٣٠.

وهذا هو الذي دعا عمه أبا طالب إلى استصحابه في التجارة. وفي الشام عرف أحبار الروم ونصرانيتهم وكتابهم مثل بحيرا.

وهذا كله من مخترعات خياله، إلا مسالة بحيرا وتقدمت.

٦- تصوير درمنغام العرب وأهل مكة أنهم كانوا يصرفون أوقاتهم بعد التجارة والحرب في الاستمتاع باللذات من السكر والتسرّي.

وحرمان الرسول ﷺ من التعلم مع أنداده جعله أشد شوقاً للمعرفة، وأن نفسه العظيمة ترغب عن اللهو وتتوق إلى الكمال فتزداد طموحاً إلى نور الحياة المتجلي في جميع مظاهرها.

وردّ الشيخ رشيد رضا: بأن هذا من مخترعات خيال درمنغام، فلم يكن محمد ﷺ يتحرى معرفة ذلك، وثبت أنه لم يحضر لهوهم إلا مرتين، ألقى الله عليه النوم في كل منهما حتى طلعت الشمس، فلم ير و لم يسمع شيئاً.

أما كون أنداده من قريش متعلمين وهو محروم فهذا لم يرد في التاريخ.

وأما كون نفسه تتوق إلى الكمال.. فيريد به تعليل ما انبثق في نفسه ﷺ بعد ذلك من الوحي، الذي سيتضح بطلانه فيما بعد.

٧- ضخّم درمنغام مصيبته ﷺ بموت أبنائه المشكوك في ولادتهم عنده، ليجعلها مسوغة لما اختلقه من توسل خديجة إلى الأصنام بالقرابين لترزق بغلام. ومسوغاً لتبنيه زيد بن حارثة؛ لأنه لم يطق على الحرمان من الأبناء.

وتحدث الشيخ رشيد عن هذا وقصة تبني زيد بن حارثة بما يرد على هذه الشبهة عقلاً ونقلاً.

٨- زعم درمنغام أن ضعف الوثنية في العرب، كان بسبب تغلغل النصرانية، التي أوجدت حالة نفسية أدت إلى التحنث الذي كان عليه الرسول ﷺ في الغار بعيداً عن ضجة الناس يتأمل ويتعبد، ليصل إلى المعرفة المنشودة.

وردّ الشيخ رشيد على ذلك بقوله: أن روايات المحدثين تنفي هذا الزعم، وجاء برواية خلوه بغار حراء، ثم قال: إنه لم يرد عنه ﷺ أنه كان يقصد ذلك ويبتغيه، ولا روي عن أصحابه وأترابه ممن عرفوا سيرته وآمنوا به كأبي بكر وعثمان وعميه الحمزة والعباس وابن عمه علي ومولاه زيد[1].

وعرض الشيخ رشيد بعد ذلك بعض الشبهات التي جاء بها بعض ملاحدة عصرنا ومن هذه الشبهات: (بأن سولون فيلسوف اليونان قد جاء بشرع منه، فليس بعجب أن يأتي محمد ﷺ بشريعة من فكره).

ورد على هذه الشبهة بقوله: إن سولون من رجال المال والحرب، في القرن السابع قبل الميلاد، ووالدته من انسباء بستراتوس آخر ملوك أثينا. وقد تولى سولون قيادة ا لجيش، وانتخب سنة ٥٩٤ ق.م. رئيساً على الأمة، وقلدوه سلطة مطلقة لتغيير نظمها وقانونها الذي وضعه (زراكوت) قبله. فكان منقحاً ومجدداً لقانون أكبر أمة حضارية، فوضع لهم نظاماً اتخذوه دستوراً متبعاً عشر سنين. فهل هذا يقاس بمحمد ﷺ الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، و لم يتول عملاً إدارياً أو سياسياً. ثم إن الشرع الذي جاء به ما كان منقحاً لشرع سابق عليه. فأين هذا من ذاك؟[2].

(١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص١٣١-١٣٥.

(٢) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص١٥٨.

obeikandi.com

ثم أورد الشيخ رشيد نتيجة هذه المقدمات العشر مما كتبه درمنغام الـــذي أرخـــى لقلمه العنان من أخبار خيالية غير صحيحة، مثل: نسيان محمد الليل والنهار، والحلـــم واليقظة، وقضائه الساعات الطوال جاثياً في الغار، أو مستلقياً في الشمس..

ليستنبط منها أنه ﷺ صار مغلوباً على عقله،غارقاً في بحر خياله، فأثمر له انبثـــاق ذلك الوحي العالي من نفسه.

وأورد الشيخ رشيد حديث البخاري في باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله عليه وسلم، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، ليوضح تحنث الرسول ﷺ، ويفنـــد أخيلة درمنغام، لإبطال نتيجة مقدماته[1].

ثم اتخذ الشيخ رشيد رضا آية الله الكبرى القرآن العظيم دليلاً قاطـــعاً على بطلان القول بالوحي النفسي. وخصص له أكثر من نصف كتابه الوحي المحمدي، في الفصلين الأخيرين الرابع والخامس منه؛ حيث أوضح في الفصل الرابع منـــه: إعجـــاز القـــرآن بأسلوبه وبلاغته، وتأثيره في نفوس المسلمين والمشركين وثورته في الأمة.

أما **الفصل الخامس**: فقد خصصه لبيان مقاصد القرآن الكريم العشرة وهي:

١) أركان الدين الثلاثة: الإيمان بالله تعالى، عقيدة البعث والجزاء، العمل الصالح.
وبيّن فيه سنة القرآن في تهذيب الأخلاق، والإرشاد إلى العبادات.
٢) ما جهل البشر من أمور النبوة والرسالة ووظائف الرسل.
وبيّن فيه بعثة الرسل في جميع الأمم ووظائفهم، والإيمان بهم جميعاً، معجـــزاتهم، ختم النبوة، الإيمان بالقدر.
٣) الإسلام دين الفطرة السليمة والعقل والفكر، والعلم والحكمة، والبرهان والحجة، والضمير والوجدان، والحرية والاستقلال.
٤) الإصلاح الإنساني الاجتماعي السياسي الوطني:

(١) المرجع السابق، ص١٣٧-١٤٠.

وبيّن فيه وحدة الأمة، والإنسانية، والدين والتشريع بالمساواة في العدل، ووحدة الأخوة الروحية في التعبد، ووحدة الجنسية السياسية، والقضاء واللغة.

٥) مزايا الإسلام العامة في التكاليف الواجبة والمحظورة.

٦) حكم الإسلام السياسي الدولي: نوعه وأساسه وأصوله العامة.

٧) الإصلاح المالي.

٨) إصلاح نظام الحرب ودفع مفاسدها وفلسفتها.

٩) إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية.

١٠) هداية الإسلام في تحرير الرقيق[١].

وانتهى أخيراً إلى أن هدف القرآن الكريم بمقاصده العشرة السابقة هو إصلاح البشر وتكميل نوع الإنسان من جميع نواحي التشريع الروحي منها والأدبي والاجتماعي والمالي والسياسي، مما اشتدت إليه حاجة الشعوب والدول في هذا العصر. وأن موضوع القرآن الكريم وإعجازه، مع أُمّية الرسول ﷺ، يضطر العقل إلى الجزم بأن هذا كله فوق استعداد بشر أمي أو متعلم، وأنه لا يعقل إلا أنه وحي من الله تعالى. وإذ قد ثبت هذا فالواجب على كل من بلغه من البشر أن يتبعه ويهتدي به، لتكميل إنسانيته وإعدادها لسعادة الدنيا والآخرة[٢].

وهذه الأبحاث التي بدأ يوضّح مسائلها الشيخ رشيد فتحت الأذهان، فدارت بعده كتابات عن هذه الأبحاث معززة ومؤيدة، فأوردوا مجموعة من الأدلة والاستنباطات التي أثبتت أن الوحي ليس من قبيل الوحي النفسي الذي هو حديث النفس وإلهامها الفائض من استعداد النفس العالية والسريرة الطاهرة، بل إن الوحي كما يقول القسطلاني: (أمر طارئ زائد على الطباع البشرية)[٣]، خارجي عن النفس والباطن، لا

---

(١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي ص١٦٧-٣٤٨.

(٢) المرجع السابق، ص٣٤٩-٣٥٠.

(٣) القسطلاني، إرشاد الساري إلى صحيح البخاري، ط٧، بولاق، ١٣٢٣هـ، ج١، ص٦٠.

يخضع لأي تأثير عليهما، يتلقاه النبي ﷺ من الذات الإلهية، بواسطة الملك جبريل الموكل بذلك[1].

وهذا التيقن هو الذي دفعه لتحمل الأعباء الشديدة مع إغراء المشركين له بالمال والملك إذا ترك دعوته، وقاسى هو وأصحابه الآلام، وعادى أهله وقبيلته، فنصره الله تعالى على أعدائه، واظهر رسالة الإسلام في الأرض.

وهكذا فتح الشيخ محمد رشيد رضا أبواب البحث على مصاريعها في موضوع الوحي خاصة، فكان كتابه (الوحي المحمدي) الذي استوحاه من تفسيره ومجلته المنار مناراً يهتدي به الباحثون المسلمون وغير المسلمين إلى الحقيقة النبوية.

(١) انظر شرحاً مفصلاً عن تلقي الرسول ﷺ الوحي تلقياً خارجياً (من الله) في: كتابي أصول الدين الإسلامي ص٢٤١-٢٥٤ وأشرت هناك إلى عدة كتب: مناهل العرفان للزرقاني، والنبأ العظيم لمحمد عبدالله دراز، والظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح، وكبرى اليقينيات الكونية لمحمد سعيد رمضان البوطي، والرسول لسعيد حوى.

obeikandl.com